

آثار انتشار الأوبئة في بلاد الشام (342-596هـ / 953-1199م)

د. أحمد علي هادي القحطاني*

الملخص:

يتناول موضوع هذا البحث الحديث عن الأوبئة في بلاد الشام وأثرها على السكان وعلى أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد تسبب انتشارها على نطاق واسع في هذا الجزء من البلاد العربية في الفتك بالمجتمعات ولاسيما وباء الطاعون، الذي حصد أرواح الآلاف من سكان الشام.

كما تتطرق الدراسة إلى آثار هذه الأوبئة على الحيوانات، فقد نالها نصيباً وافراً من ذلك الوباء، حيث تسببت في نفوق أعدادا كبيرة من الخيل، والجمال والطيور؛ مما أثر في فقدان عدد كبير من الدواب، وأدى ذلك إلى نقص حاد في وسائل النقل الرئيسة المعروفة في هذه الفترة. وشح في مصادر الغذاء نظراً لنفوق قطعان الماشية والطيور، وقد ترتب عن ذلك انتشار المجاعات بين السكان وارتفاع أسعار اللحوم بشكل كبير جداً.

وتناولت الدراسة أيضاً العاملين في حقل الطب والدواء فقد كرس العاملون في هذا المجال بالبحث عن أدوية وعقاقير لوقف انتشار هذه الأوبئة الخطيرة من خلال تجارب بعض الأدوية الجديدة مع ما كان موجوداً لديهم من قبل لعلها تساهم في شفاء المصابين، أو وقف انتشار هذه الأمراض الفتاكة، حيث ساهم العاملون فعلاً في علاج وتخفيف الإصابات من هذه الأوبئة، وخففت هذه الجهود من معاناة آلام المصابين، والقضاء على الآفات الخطيرة التي فتكت، بالإنسان والحيوان.

الكلمات المفتاحية: المرض ؛ الأوبئة؛ بلاد الشام؛ السكان.

* - باحث في التاريخ الإسلامي ، ومتعاون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المملكة السعودية.

Abstract:

In this research the study dealt with epidemics in the levant and their impact on the population and their social and economic conditions . However, the spread of these epidemics on a large scale in this part of the Arab lands caused the elimination of communities. Especially the plague which has killed thousands of lives from the Levant .

In addition ,the study dealt also with the impact of epidemics on animals .Animals have had a large share of the impact of epidemics ,where epidemics caused the death of large numbers of horses ,camels and birds. This resulted in the loss of the transportation which was used and known in that period ,scarcity in the food sources due to the herds's death as well as the birds . As a consequence ,famines spread among people .Meat prices have risen very dramatically .

Finally ,and based on all the issues discussed above in the research ,doctors and researches exerted great efforts to figure out a solution to these problems .They dedicated their efforts to find medicines and drugs that can help to stop spread the epidemics .By conducting some experiments on the ones existed medicines as well as new ones ,scientists and researches managed to find out treatment for those epidemics and spread diseases at that time ,that researchers contributed to the treatment of many diseases and eliminated the serious pests which have afflicted humans and animals during this era .

Key word: epidemics ; the levant; the death; famines; medicines.

مقدمة:

شكلت الأوبئة هاجسا مروعاً في حياة المجتمع الشامي، إذ تعرضت بلاد الشام خلال (342-596هـ / 953-1199م) لعدد كبير منها، والتي تسببت في فناء أعداد كبيرة من البشر والحيوان. ورغم تميز مدن بلاد الشام بصحة هوائها ومناخها وغزارة مياهها وجمال أشجارها وبساتينها إلا أن المجتمع الشامي تعرض للإصابة بعدد من الأوبئة الفتاكة، راح ضحيتها الكثير من السكان على اختلاف طبقاتهم.

ورغم كثرة الأوبئة التي أصابت هذه المنطقة، إلا أن المصادر نادراً ما تتعرض إلى ذكر الأسباب ووصف الأعراض التي كانت تصيب السكان. ونظراً لخطورة الأوبئة على حياة الإنسان، فقد أثرت أن أتناول هذا الموضوع بالدراسة للكشف عن آثاره في بلاد الشام.

أولاً: انتشار الوباء في بلاد الشام

تعريف الوباء: يعرف بأنه مرض معدٍ ينتشر في منطقة ما، ويصيب العديد من سكان تلك المنطقة¹. وتعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه تفشي المرض بأسلوب غير متوقع ويستدعى الاستنفار². والفرق بين الوباء والطاعون، أن الطاعون أخص من الوباء، فإن المرض العام قد يكون طاعوناً وقد لا يكون، كل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً³. ومن هذه الأوبئة التي أصابت سكان بلاد الشام ما يلي :

لقد ذكر بعض المؤرخين أنه انتشر في بلاد الشام سنة 343هـ/954م وباء الطاعون⁴ على نطاق واسع وقد تسبب هذا الوباء فيهلاك عدداً كبيراً من السكان هناك⁵.

وفي سنة 346هـ/957م أصاب الناس أورام الحلق والماشراً⁶ وكثر موت الفجأة، وكان ما افتصد من هذه الأوبئة خرج من مكان الفصد دم شديد السواد ولم يسلم من افتصد، إما أن يموت أو يبقى عليلًا لا يستطيع القيام بنفسه⁷.

ووقع وباء سنة 353هـ/963م في مدينتي المصيصة وطرسوس حينما نزل عليها الجيش البيزنطي، حيث انتشر الوباء بين سكان المدينتين، وكذلك هلك من الروم خلق كثير مما اضطرهم إلى الرحيل عن هذه المدينة بسبب ذلك الوباء⁸. واستمر هذا الوباء إلى سنة 354هـ/964م. أغار الروم مرة أخرى على مدينتي طرسوس والمصيصة، فتفشي في المدينتين وباء عظيم⁹. ويذكر ابن الجوزي¹⁰ أنه في سنة 357هـ/967م تعرض الناس للإصابة بوباء الماشرا، ووجع أصاب الحلق وكثر الموت فجأة.

وفي سنة 358هـ/968م خرج الروم من بلادهم لأخذ حلب¹¹ وأثناء حصارهم المدينة تفشت فيهم الأوبئة وكثر الموت في صفوف عسكرهم، فقليل كان انتشار الأوبئة سبباً مباشراً في تراجع هذه القوات إلى ديارهم¹².

وفي سنة 372هـ/982م انتشر وباء عظيم في بلاد الشام وأهلك خلقاً كثيراً من الناس، ولم يقتصر ذلك على الشام فقط¹³، ويذكر كل من الأنطاكي وابن أبيك الدواداري أن هذا الوباء حدث سنة 373هـ¹⁴ ومما يلفت نظر الباحث صمت المصادر عن الحديث عن الأوبئة في الفترة من سنة 373هـ حتى 415هـ / 983م- 1034م، لعل ذلك بسبب اهتمام المؤرخين بتدوين أحداث حروب أهل الشام للفاطميين.

ويذكر المسيحي¹⁵ أنه حدث وباء في مصر سنة 415هـ/1024م واشتد الغلاء، وكذلك أورد الخبر بأن هذا الوباء عظم بدمشق واستفحل أمره في الناس وقتل خلقاً كثيراً، ويمكن القول بأن الوباء لم يقتصر على مدينة دمشق وإنما انتشر في مدن الشام، لكن بحكم أن دمشق تحت سيطرة الدولة الفاطمية ولها اتصال مباشر بدمشق، لذلك ورد الخبر عن دمشق دون المدن الأخرى.

وفي شهر رجب سنة 421هـ/شهر يوليو 1030م قدم جيش الروم وحاصر مدينة حلب، لكن الوباء استفحل في العسكر لشدة الحر،¹⁶ مما أجبر الروم على فك الحصار والعود إلى بلادهم¹⁷.

وفي سنة 423هـ/1031م حدث وباء بالناس مات منه بشر كثير في الشام والعراق والموصل وخراسان والهند، ويذكر أنه تزامن مع هذا الوباء الخطير مرض آخر وهو الجدري¹⁸، ومن شدة وهول هذه الأمراض حينما جاءت في فترة واحدة، أنه لم تسلم دار من أثر هذا الوباء الذي خلف الكثير من الأموات والمصابين¹⁹.

ومن الأمراض الفتاكة التي أدت إلى وفاة أعداد كبيرة من سكان مدن الشام مرض الخوانيق²⁰ من ذلك ما حدث سنة 425هـ/1033م حيث تفشى هذا المرض بشكل كبير في بلاد الشام والحجاز والعراق، ومن فظاعة وقوة فتك هذا المرض كانت الداريسد بابها لموت أهلها²¹.

وقد وقع في قلعة حلب سنة 434هـ/1042م وباء أفنى أكثر أهلها، مما اضطر الناجين لتسليمها للجيش الفاطمي أثناء حصاره لها²².

وفي سنة 440هـ / 1048م وقع باء صاحبه غلاء شديد انتشر في الشام والعراق والجزيرة الفراتية²³ ومصر ، وغيرها من الأقطار الإسلامية²⁴ ، ويذكر أنه مات من الخلق ما لا يحصى ولا يعد²⁵ .

كما حدث سنة 448هـ / 1056م في مصر وباء شديد ، وكانت وطأته على الناس مؤلمة²⁶ ، وعم الشام ومنها انتقل إلى بلاد الحجاز واليمن والموصل²⁷ وتفشي في مدن الشام سنة 454هـ / 1062م مرضا الجدري وموت الفجأة ونتج عنهما موت خلق كثير²⁸ .

وفي سنة 459هـ / 1066م تعرضت مدينة حلب لوباء أهلك خلقاً كثيراً حتى قيل إنه مات في رجب من هذه السنة زهاء أربعة آلاف ، فضلاً عن هلك عن سائر الشهور الأخرى الذي استمر فيها هذا الوباء²⁹ ، وأدى إلى وفاة جماعة من ساداتها³⁰ ، وقد تسرب هذا الوباء إلى خارج مدينة حلب حتى شمل حران³¹ ودمشق³² ويظهر أن هذا الوباء كان أشد ضراوة وفتكاً لا سيما بأهل حلب لأن الرواية تعطي عدد الوفيات لأهل حلب .

وفي سنة 461هـ / 1068م خرج جيش الروم إلى ديار الشام ونجح في السيطرة على منبج³³ ثم سار إلى عزاز³⁴ ، وانتشر وباء خطير وعلل أخرى في العسكروصاحب هذا غلاء في المعيشة³⁵ ، مما دفع جيش الروم إلى العودة إلى بلاده³⁶ بسبب خوفهم من هلاك عسكرهم .

ويذكر أن وباء عظيم استفحل في أهل الشام والعراق والجزيرة الفراتية سنة 469هـ / 1076م³⁷ . ويتحدث بعض المؤرخين³⁸ عن الحال التي أُمسى عليها سكان دمشق فيذكر ابن حجر العسقلاني أن مدينة دمشق كان يسكنها نحو خمسمائة ألف نسمة وبعدما أصاب أهلها وباء الطاعون ، لم يبق منهم سوى ثلاث آلاف وخمسمائة ، وكان من جملتهم مائتان وسبعون خبازاً فهلك هؤلاء الخبازون ما عدا اثنين ، في حين يشير ابن العبري³⁹ إلى أن هذا الوباء أهلك معظم سكانها تقريباً وكان مجموعهم فيما سبق ثلاثمائة ألف نسمة ، فأمسوا ثلاثة آلاف نسمة فقط ، وكان فيها مائتان وأربعون خبازاً فلم يبق فيها سوى خبازين فقط .

ومهما اختلفت الأرقام بين ابن حجر وابن العبري، فنستنتج من الروايتين أن أهل دمشق شبه فنوا بأكملهم نتيجة هذا الوباء.

ويذكر ابن تغري بردي⁴⁰ أن بلاد الشام تعرضت سنة 470هـ/1077م لوباء عظيم أدى إلى وفاة خلق لا يحصى ، وقد سماه الطاعون العظيم، وقد يكون هو ذات الوباء الذي وقع سنة 469هـ، ومن هوله وشدة فتكه بالناس. ويبدو أن هذا الطاعون كان من النوع الذي يعرف بالطاعون الرئوي والذي يعد أكثر أنواع الطاعون خطورة⁴¹. وفي سنة ذاتها حدث في حصن الجسر⁴² تغير الهواء على الذين فيه، ونتج عن ذلك تفشي مرض غامض أهلك عدداً كبيراً من الناس في هذا الموضع⁴³.

كما وقعت عدة أوبئة في سنة 478هـ/1086م وكان من أهمها وباء الطاعون الذي عم مدن الشام والحجاز وخراسان وتزامن معه تفشي موت الفجأة ، ثم اتبعه انتشار مرض الجدري بين الأطفال ، كما أصاب الناس في الوقت نفسه وباء الخوانيق ، ومات من ذلك خلق كثير⁴⁴ حتى قيل إن قرى كثيرة في بلاد الشام خلت من سكانها⁴⁵

وأثناء حصار الجيش الصليبي لمدينة أنطاكية⁴⁶ سنة 491هـ/1097م. انتشر وباء بين صفوف هذا الجيش والذي أدى إلى هلاك أعداد كبيرة منهم⁴⁷ وصفه المؤرخ وليم الصوري William of Tyre⁴⁸ هذا الوباء (بأنه كان قاسياً مميتاً)، ويعلل في نفس الوقت أن من الأسباب التي أدت إلى حدوث هذا الوباء، فساد الأطعمة التي يتناولها العسكروالتي تسبب في إفسادها الأمطار المتوالية والغزيرة.

وبعد أن تمكن الصليبيون من بسط نفوذهم على مدينة أنطاكية في شهر رجب 491هـ شهر يونيو 1098م، هاجم مرض الطاعون جموع الصليبيين في أنطاكية، وفتك بأرواح أعداد كبيرة منهم⁴⁹. ويشير وليم الصوري⁵⁰ إلى أن هذا الوباء كان أكثر انتشاراً في أوساط النساء، فقد قضى على خمسين ألف امرأة تقريباً، ويبدو أن الرقم الذي ذكره المؤلف فيه مبالغه كبيرة، حيث يرجح أن عدد القوات الصليبية في الحملة الأولى 150 ألف شخص تقريباً، بما فيهم النساء⁵¹. واستمر هذا الوباء حتى ديسمبر من نفس السنة 491هـ/1098م أي ما يقارب ثلاثة أشهر، وهو يفتك بالناس ومات بسببه خمسمائة فارس صليبي، فضلاً عن عامة الناس فكان

عددهم يفوق التقدير⁵². وأما المصادر الإسلامية المتاحة لي فلم تشير إلى هذا الوباء، ويمكن إرجاع ذلك إلى اقتصره على الجيش الصليبي. وحاول الصليبيون معرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع هذا الوباء الفتاك، ورجحت آراؤهم أن يكون مرده إلى بعض الجراثيم المنتشرة في الهواء أو إلى الشراهة في الأكل بعد الجوع الشديد⁵³.

وبعد سقوط مدينة أنطاكية في يد الصليبيين تحرك الجيش الصليبي إلى معرة النعمان⁵⁴ سنة 492هـ/1098م، وتعرضت الجيوش الصليبية لوباء انتشر بين صفوف العسكر، وكان أثر هذا الوباء هائلاً عليهم، لدرجة أنهم كانوا يأكلون لحوم البشر والحيوانات القذرة⁵⁵.

ويعتقد الباحث أن الوباء بدأ في الانتشار في صفوف الجيوش الصليبية منذ حصار أنطاكية يعود إلى كثرة القتلى في صفوف الصليبيين، وأنه كلما خفت حدته وقل خطره، أعرضت المصادر عن ذكره، فإذا ما اشتدت وطأته وكثرت مهالكه، اعتنوا برصد أخباره وما يترتب عليه من نتائج وخيمة. وفي سنة 493هـ/1099م انتشر في حلب وأطرافها وباء أفنى منهم خلقاً كثيراً، ولم يزرع شيء في حلب من كثرة الموتى مما تسبب في غلاء فادح تضرر منه من سلم من الناس بها⁵⁶.

والملاحظ أن المصادر تشير إلى أن مدينة حلب كانت أكثر مدن الشام تأثراً بالوبئة، بعد مدينة دمشق، ولعل ذلك يعود للأسباب التالية:

أولاً: إن كثرة غزو الروم لحلب واحتكاك جند المعسكرين الإسلامي والبيزنطي بعضهم بعضاً أتاح المجال لانتقال جراثيم المرض إلى الجند⁵⁷.

ثانياً: الموقع لمدينة حلب، والتي تقع على مقربة من الطريق المؤدية إلى طريق العراق وكذلك لمتاخمتها مدن الثغور وسائر بلاد الشام⁵⁸ وهذا الموقع يعطيها أهمية في ميدان التجارة، كونها ملتقى الطرق بين بلاد الروم وديار بكر في الشمال والعراق في الشرق وبلاد الشام ومصر من الجنوب⁵⁹ ونسبة لهذا الموقع أصبحت حلب مجمعاً لأخلاق الناس واتصال التجار والتقاءهم مع بعضهم، مما هيأ الفرصة لانتقال الأوبئة من المناطق الأخرى إلى مدينة حلب.

وأورد ابن الأثير⁶⁰ خبراً عن وباء الجدري الذي أصاب العراق والشام، وغيرها من البلاد سنة 494هـ/1104م ومات به أمم لا يحصون ثم أعقبها وباء شديد وموت الكثير.

وفي سنة 506هـ/1112م تعرضت سواحل الشام لحدوث وباء شديد في البقر ، وتزامن مع انتشار وباء بين الصليبيين⁶¹ ، ويمكن الربط بين هذا الوباء ووباء البقر إذا علمنا أن الصليبيين سكنوا المدن الساحلية الشامية.

كما وقع سنة 516هـ/1122م وباء بين صفوف الصليبيين، ويعزو المؤرخ فوشيه سبب هذا الوباء إلى الفئران التي حملتها السفن القادمة من الغرب الأوروبي إلى موانئ الشام⁶² والمعروف أن الفئران والجرذان تحمل البراغيث التي تنقل وباء الطاعون إلى الإنسان والحيوان⁶³.

ويذكر أنه وقع وباء شديد سنة 517هـ/1123م في كل البلدان الإسلامية⁶⁴. وحدث وباء في مالطية ونحوها سنة 518هـ / 1124م اهلك كثيراً من أهلها⁶⁵. ويذكر وليم الصوري أنه أثناء حصار الصليبيين لقلعة بارين⁶⁶ في صيف سنة 532هـ/1137م واجتاحت أوبئة متعددة بين صفوف الصليبيين وأثرت عليهم، ولم يحدد المصدر أنواع هذه الأوبئة ، ولكن يبدو لنا أنها لم تكن أوبئة مميتة بدليل أنهم استمروا في حصار القلعة حتى تمكنوا من اقتحامها⁶⁷. وفي سنة 535هـ/1141م وقع في ملطية وباء الجدري وكان أكثر تفشياً بين الأطفال⁶⁸.

وفي سنة 541هـ/1146م أصاب الناس داء في حلقهم وعم بلاد الشام وزادت شدته حتى مات من هذا المرض خلق كثير⁶⁹. وفي سنة 543هـ/1148م اجتمع الصليبيون في ساحل الشام فيما عرف بالحملة الصليبية الثانية يريدون أخذ دمشق فبدأوا يأكلون من الفواكه فانحلت أجوافهم وفنى منهم خلق كثير جداً ، ومرض الباقيون لدرجة أن ابن قاضي شهبة سعى هذه السنة " زمان الفاكهة "⁷⁰ لكثرة من مات من الصليبيين متأثراً بأكل الفاكهة. وفي سنة 547هـ/1152م اجتاحت أوبئة الحمى⁷¹ والسعال⁷² سكان مدينة دمشق، وتسببت في موت عدد كبير منهم حيث أصاب هذا الوباء جميع المراحل العمرية، من الشيوخ والشباب والأطفال على

حد سواء⁷³ ، وقد جانب أحد الدراسين الصواب بقوله إن المصدر لم يحدد طبيعة المرض، فقد ذكر المصدر أن الأمراض هي الحمى والسعال⁷⁴ .
وفي سياق ذكر الأوبئة يذكر ابن العديم⁷⁵ أن معظم سكان عسقلان⁷⁶ قبيل سقوط مدينتهم⁷⁷ سنة 548هـ/1153م بأيدي الصليبيين، تفشى فيهم مرض غامض أصاب أمعائهم ولكن ما لبث أن برأ معظمهم من ذلك المرض بعد أن أكلوا بعض قشور البطيخ.

كما انتشرت في دمشق سنة 549هـ/1154م عدد من الحميات منها ما يقصر ومنه ما يطول ، وأعقبه بعد ذلك موت في الشيوخ والصبيان والأطفال، ثم أخذ في التلاشي⁷⁸ . واجتاح الوباء في سنة 561هـ/1165م قرية بانياس⁷⁹ بسبب كثرة المستنقعات ، ومات بها أناس كثير⁸⁰ .

وفي سنة 574هـ/1179م اشتد الوباء على الناس في الشام وغيرها من الأقطار، وكثر فيهم الموت، وذلك بسبب تفشي مرض يعرف بمرض السرسام⁸¹ واستمر هذا المرض سنتين، أي إلى مستهل سنة 576هـ ، وكان الناس لا يلحقون دفن الموتى⁸² ، وقد وصف ابن الأثير حجم هذا المرض بقوله: " فمات فيه من كل بلد أمم كثيرة لا يحصون، ولقي الناس منه ما أعجزهم حمله، ثم إن الله تعالى رفعه عنهم في سنة ست وسبعين وخمسمائة " .

ويتحدث ابن كثير⁸⁴ عن حال الناس من هذا المرض " فمات بسبب ذلك خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله " ، وفي نفس السنة شهر ربيع الأول سنة 574هـ/أغسطس 1180م، حاصر صلاح الدين الأيوبي حصن الأحرار⁸⁵ ، فمات من أمرائه عشرة من شدة الوباء ، ويجوز أن يكون قد مات عدد كثير من العسكر، لكن المصدر اكتفى بذكر الأمراء فقط لمكانتهم، وتمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد الحصن ، وينبغي الإشارة إلى أن المصدر لم يذكر شيئاً عن انتشار هذا الوباء بين من كانوا داخل الحصن⁸⁶ .

وفي سنة 581هـ/1185م انتشر مرض الجذام⁸⁷ بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس وقضى على عدد منهم⁸⁸ ، وممن مات من هذا الوباء الملك بلدوين الرابع⁸⁹ ولذا عرف بالمجدوم⁹⁰ . وحينما كان الجيش الصليبي محاصراً لمدينة عكا⁹¹ سنة

586هـ/1190م قدم الجيش الإسلامى بقيادة صلاح الدين الأيوبي لفك الحصار عنها فوقع الوباء فى الجيش الإسلامى⁹²، ويظهر أن هذا الوباء أصاب الجيش الصليبي قبل وصول الجيش الإسلامى إلى المدينة، حيث تشير المصادر إلى أن ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا مرض أثناء وصوله إلى عكا، نتيجة للظروف المناخية التي لم يألفها من قبل⁹³.

وهذا دليل على أن الجيش الصليبي كان يعاني من الوباء قبل وصول الجيش الإسلامى، ويظهر أن الوباء بدأ انتشاره من عكا، ومرد انتشاره لأسباب، منها ما أشار بها رنسيما بقله⁹⁴: "أما السهول شديدة الدفء والتي اجتذبت خصوصتها أنظار المغيرين، فكانت بمياها الآسنة وتوافر الناموس والذباب بها مواطن للأمراض، إذ ترعرعت بها الملاريا والتيفوئيد والدوسنتاريا، وتعرضت القرى المزدحمة بالسكان التي انعدمت فيها أسباب الصحة، للأوبئة مثل الكوليرا والطاعون"، ويضاف إلى ذلك الجيف والروائح المنتنة من كثرة القتلى في المعسكرين⁹⁵ يقوي ما ذكره رنسيما الازدحام الشديد للصليبيين في مدينة عكا، حيث وصفها الرحالة ابن جبير حينما زارها وبداخلها الصليبيين، بقله بأنها: "قاعدة مدن الفرنج ومرفأ كل سفينة تغص شوارعها بالزحام وتضيق فيها مواطن الأقدام وأنها بصفة عامة غير نظيفة"⁹⁶ والذي يجدر ذكره هنا أن صلاح الدين الأيوبي نفسه لم يسلم من آثار ذلك الوباء، يدلنا على ذلك أن أطباء أشاروا عليه بمغادرة ذلك المكان إلى مكان آخر⁹⁷.

ويبدو للباحث أن مرد انتشار ذلك الوباء في عكا يعود في الأساس إلى الجيش الألماني الذي قدم عليها من أنطاكية وكان معظم جنوده يحمل آثار ذلك المرض، يؤكد ذلك ما ذكره ابن واصل من أنه كان يموت من الجيش الألماني بسبب هذا المرض كل يوم المئة والمئتين، وأنه كان من ضمن الوفيات التي سببها هذا المرض هو ابن امبراطور ألمانيا نفسه⁹⁸.

ولعظم خطره، أفاضت المصادر الإسلامية في الحديث عن الوباء الذي أصاب الألمان، فوصف ابن الأثير⁹⁹ حالهم بقله: "وكانوا نيفاً وأربعين ألفاً، ووقع فيهم الوباء والموت، فوصلوا إلى أنطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم

صاحبها وحسن المسير إلى الفرنج الذين على عكا، فساروا إلى البلاد التي ملكها المسلمون، وخرج أهل حلب وغيرها إليهم وأخذوا منهم خلقاً كثيراً، ومات أكثر ممن أخذ فبلغوا طرابلس¹⁰⁰ وأقاموا بها أياماً فكثّر فيهم الموت، فلم يبق منهم إلا نحو ألف رجل.

وفي ذات السياق يقول ابن العديم¹⁰¹: "وسار جيش ملك ألمانيا متوجهاً إلى عكا وفشا فيهم الوباء حتى لم يسلم من كل عشرة واحد، ولم يخرجوا من أنطاكية حتى ملؤها قبوراً". ويشرح ابن الفرات¹⁰² حال العسكر الألمان بقوله: "وقد عم المرض أكثرهم، وصار أكثرهم حملة عصي وركاب حمير، وخرج أهل حلب بعد ذلك وجندنا إلى طريقهم والتقطوهم فكان الواحد يأسر جماعة منهم، فهانوا في الأنفس بعد أن كانوا قد هيبوا هيبة عظيمة، وبيعوا بالأسواق بالثمن البخس.

وفي أثناء حصار عكا، تعرضت الجيوش الصليبية لوباء خطير يصيب الإنسان بالانتفاخ في جسمه، حتى وكأن به مرض الاستسقاء¹⁰³، وبلغ من فداحة هذا المرض أن تساقطت أسنانهم، وكانت شدة وطأته محزنه ومخيفة، وكانت قوافل الموتى تتابع، وقد عد الموتى كل يوم بألف ميت، ولم يسلم من هذا المرض إلا القليل الذين كتب لهم الشفاء¹⁰⁴.

في شهر رجب سنة 587هـ/شهر أغسطس 1191م، وعندما كان الجيش الصليبي معسكراً في حيفا¹⁰⁵، وفي أثناء الليل تعرض العسكر للدغات سامة من حشرات العنكبوت، تلدغ الجندي كأنه الكي، فينتفخ الموضع ويتورم بفعل السم الذي يسري في الجسم، ويسبب له حكة في جسده فأخذوا يعالجون الورم والحكة بدهنه بمادة تعرف بالترياق¹⁰⁶، وكانت ذا أثر فعال في تخفيف حدة اللدغة والألم¹⁰⁷. وفي شهر ديسمبر من العام نفسه تفشى وباء في الجيش الصليبي في القدس، واستفحل أمره في معسكر الصليبيين حتى لم يستطع الجند العيش في المدينة، مما اضطرهم إلى الهرب إلى سفوح الجبال¹⁰⁸.

وفي سنة 588هـ/1192م وعندما كان الجيش الصليبي معسكراً في ناحية بيت جبرين¹⁰⁹، هاجمته حشرة صغيرة، أخذت تلدغ الجند في رقابهم وجباههم

وأيدىهم واي جزء مكشوف من الجلد ، وتتبع اللدغة حالة ورم شديد الإيلام وكأن الشخص مصاب بالبرص من أثر اللدغة ¹¹⁰.

وفي سنة 589هـ/1195م ظهر بداخل مدينة حمص ¹¹¹ عيون ماء لم يعدها الناس من قبل وشرب منها أهل حمص، فوخموا ¹¹²، وأعقمها طاعوناً مات ثلث أهل البلد مع صحة الهواء وجودته ¹¹³. ورغم بحثي عن هذه المعلومة في المصادر الأخرى، إلا أنني لم أعر على ما يؤكد صحة وجودها.

الخاتمة:

كشفت في هذه الدراسة عن أثر الأوبئة البشرية على سكان بلاد الشام وأثرها على أوضاعهم والاجتماعية والاقتصادية، كما لوحظ أن انتشار هذه الأوبئة كان على نطاق واسع في هذا الجزء من البلاد العربية ومدى الفتك الذي تسببت به بالمجتمعات ولاسيما وباء الطاعون، والذي كان انتشاره أكثر من أي وباء آخر، حيث حصد الآلاف من سكان الشام.

ولم تقتصر آثار هذه الأوبئة على الإنسان بل أن الحيوانات أيضاً لم تسلم هي الأخرى، حيث وصلت هذه الأمراض في بلاد الشام إلى درجة الوباء متسببة في نفوق أعداد كبيرة من الخيل، والجمال والطيور؛ مما أثر في فقدان عدد كبير من الدواب، وانعكس كل هذا على نقص حاد في وسائل النقل الرئيسة المعروفة في هذه الفترة. وشح في مصادر الغذاء نظراً لنفوق قطعان الأغنام ولأبقار والطيور، وقد ترتب عن ذلك انتشار المجاعات بين سكان بلاد الشام وارتفاع أسعار اللحوم بشكل كبير جداً جراء انتشار هذه الأوبئة.

كما دفع انتشار هذه الأوبئة في بلاد الشام العاملين في حقل الطب والدواء إلى الإسراع في البحث عن أدوية، وعقاقير لوقف انتشارها من خلال تجارب بعض الأدوية الجديدة مع ما كان موجوداً لديهم من أدوية عرفوها سابقاً لعلها تساهم في شفاء المصابين، أو وقف انتشار هذه الأمراض الفتاكة، وقد أسهم العاملون فعلاً في مجال العلاج والدواء بجهود كبيرة في البحث عن بعض الأدوية، والعقاقير التي

أسهمت في علاج وتخفيف الإصابات من هذه الأوبئة، حيث خففت هذه الجهود المضنية من معاناة ألأم المصابين سواءً كان ذلك المصاب إنساناً أم حيواناً .

الهوامش:

- 1- البار ، محمد علي ، العدوى بين الطب وحديث المصطفى، ط4، الرياض ، الدار السعودية ، 1401هـ / 1981م ص88.
- 2- منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int/ar>.
- 3- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ / 1505م) رسالة في الطاعون ، مخطوط بجامعة أم القرى تحت رقم 4685. الزهراني، صالح بن عبد الله، الكوارث وأثارها في بلاد الشام خلال القرون الثلاثة الأولى ، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ، 1432هـ / 2011م ، ص60.
- 4- يعتبر الطاعون مرضاً وبائياً معدياً ، ينتقل إلى الإنسان عن طريق القوارض كالفران . يوسف درويش غوانمة، الطاعون، والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام والأردن (الأردن وفلسطين) ، مجلة دراسات تاريخية ، دمشق ، العددان الثالث عشر والرابع عشر ، 1404هـ / 1983م ، ص74. ويعرف الطاعون بأنه نوع من الوباء وهو عند أهل الطب وروم ردى قتال يصاحبه حرارة شديدة مؤلمة ، وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع ، في الإبطو خلف الأذن ، والأرنبة في اللحوم الرخوة، الرازي، محمد بن بكر ، (ت313هـ / 925م) كتاب الحاوي ، صححه : محمد عبد المعيد خان، ط1، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، 1384هـ / 1964م، ج17، ص4، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت751هـ / 1350م) الطب النبوي، صححه وأشرف على التعليقات، عبد الغني عبد الخالق، بيروت، دار القلم، ص33.
- 5- الأصفهاني ، محمد بن صفي الدين (ت597هـ / 1201م) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 1423هـ / 2002م ، ص343، ابن أبيك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت735هـ / 1334م) كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة السننية في أخبار الدولة العباسية ، تحقيق : دوروتياكرافولسكي، بيروت، المعهد الألماني للآثار، ج5، ص399.
- 6- الماشرا : حرارة قوية داخل الجلد من غير أن يتقرح أو يبرز إلى خارج فإن كان مع ورم في ظاهر البدن وكان واغلا في اللحم سعي فلغمونيا ، وإن ظهرت مع ذلك في ظاهر الجلد بثور صغار وأسرع إلى التقرح يسمى نملة، وإن انبسط في سطح الجلد وأخذ منه مكاناً كبيراً . القمري، الحسن بن نوح (ت 428هـ / 1041م) التنوير في الاصطلاحات الطبية ، تحقيق : غادة حسن الكرمني، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1411هـ / 1991م ، ص63.
- 7- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت597هـ / 1201م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995م ، ج14، ص109، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ / 1347م) العبرة من غير ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني، ط1، بيروت ، دار الحكمة العلمية ، 1985م ، ج2، ص93.

- 8- ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232م) الكامل في التاريخ ، تحقيق : مكتب التراث ، ط4 ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي ، 1414هـ/1994م ، ج 5 ، ص334 ، ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417هـ/1996م ، ص83 ، ابن العبري ، لأبي الفرج حماد الدين ، (ت685هـ/1284م) تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية : الأب إسحاق أرملة ، بيروت ، المكتبة الشرقية ، 1986م ، ص63 .
- 9- مسكويه ، أحمد بن محمد (ت421هـ/1030م) تجارب الأمم ، تحقيق : أبو القاسم أمامي ، ط2 ، طهران ، دار سروش ، 2002م ، ج6 ، ص249 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ، ص337 .
- 10- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج14 ، ص190 .
- 11- حلب : تقع في أقصى الشمال الغربي لسورية وهي مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء ترتفع عن سطح البحر المتوسط بحوالي 390م تبعد عن دمشق 340كم (ابن شداد ، محمد بن علي (ت684هـ/1285م)) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : دومينيك سورديل ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية 1953م ، ج1 ، ص15 ، شعث ، شوقي ، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية ، حلب ، منشورات جامعة حلب ، 1411هـ/1991م ، ص9 .
- 12- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص363 ، ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص66 .
- 13- الأصفهاني ، البستان الجامع ، ص265 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص449 .
- 14- الأنطاكي ، يحيى بن سعيد (ت458هـ/1066م) تاريخ الأنطاكي ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، لبنان ، جروس برس ، 1990م ، ص201 ، 202 ، ابن أبيك الدواداري ، الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق : صلاح المنجد ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ص1380هـ/1961م ، ج6 ، ص212 .
- 15- المسيحي ، محمد بن عبيد الله (ت420هـ/1029م) أخبار مصر ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد وتياري بياني ، القاهرة ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، 1984م ، ص .
- 16- الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص414 .
- 17- ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص127 .
- 18- الجدري ، قروح في البدن تنقط على الجلد ممتلئة ماء ويتميز بطفح جلدي عام كما يتميز بوجود حويصلات مصلية وصديدية تنتشر في الجسم المظفر الرسولي يوسف بن عمر (ت694هـ/1294م) المعتمد في الأدوية المفردة للعلاج بالأعشاب والنباتات ، تحقيق : محمد عزت ، القاهرة ، دار الفضيلة ، ص510 .
- 19- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص67 .
- 22- الخوانيق: هي امتناع نفوذ النفس إلى الرئة والقلب تتميز هذه الخوانيق بصدايح وحى وصعوبة البلع وتورم الغدد الليمفاوية ، ابن سينا أبو علي ، الحسين بن عبد الله (ت428هـ/1041م) القانون في الطب ، ط1 ، 1999م ، ج5 ، ص147 .
- 23- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص75 .
- 24- ابن العديم ، زبدة حلب ، ص147 .
- 25- جزيرة أقور: التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مصر وديار بكر سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات ، الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م) معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1410هـ/1990م ، ج2 ، ص156 .

- 26- ابن الوردي، عمر بن المظفر ، (ت749هـ/1348م) تاريخ ابن الوردي ، النجف، المطبعة الحيدرية، 1289هـ/1969م ، ج1، ص517، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16، ص102، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج6، ص143
- 27- الأصفهاني، البستان الجامع ، ص. 291
- 28- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص193 ، ابن أبيك الدواداري ، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، ج6، ص369، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت852هـ/1449م) بذل الماعون في فضل الطاعون ، ط1، الرياض ، دار العاصمة ، 1411هـ، ص267، ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن (ت 874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1413هـ/1992م ، ج5 ، ص60
- 29- ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص100، ابن تغري بردي، النجوم الزاهر، ج5 ، ص60 .
- 30- ابن كثير ، البداية والنهاية، ج12، ص95 .
- 31- ابن العديم، زبدة حلب، ص170 .
- 32- كمال الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، علق عليه : شوقي شعت، ط2، حلب ، دار القلم العربي ، 1413هـ/1993م ، ص63
- 33- حران: مدينة مشهورة، وهي قصبة ديار مضر، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص271 . والآن داخل الأراضي التركية تقوم عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق الجزيرة، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية ، بشير فرنسيس ، ط1، العراق ، مطبعة الرابطة ، 1413هـ/1993م، ص134 .
- 34- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16، ص102 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12، ص102
- 35- منيج : مدينة كبيرة واسعة، كان عليها سور مبني بالحجارة ، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص238، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب، وتبعد عنها 81 كيلاً، أكرم الساطع، الدليل الأخضر للسياحة والآثار في سورية، دمشق، دار الفكر، 1975م ، ص97.
- 36- عزاز، بليدة فيها قلعة ولها رستاق، تقع شمال غربي حلب على مسافة 47 كيلاً، طيبة الهواء عذبة الماء.يراجع تعريف ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص132
- 37- ابن العديم، زبدة الحلب، ص171، الغزي، نهر الذهب ، ص63
- 38- الغزي، نهر الذهب، ص63 .
- 39- ابن الجوزي المنتظم، ج16، ص183-184، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6، ص273، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12، ص123، علي ، محمد كرد، غوطة دمشق ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، 1371هـ/1952م ، ص209.
- 40- ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون، ص367 .
- 41- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص115 .
- 42- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص106 .
- 43- انظر ، ص30

- 44- حصن الجسر: هو الحصن الذي كان قائماً على جسر شيرز وكان هذا الجسر الطريق الوحيد الموصل بين شيرز و الضفة نهر العاصي اليميني ، ابن منقذ ، أسامة بن مرشد (ت 584هـ/1189م) كتاب الاعتبار ، تحقيق : قاسم السامرائي ، ط1، الرياض، دارالأصالة ، 1407هـ/1987م ، ص106، حاشية رقم 224 .
- 45- ابن العديم ، زبدة الحلب، ص195 .
- 46- ابن الجوزي، المنتظم، ج 16 ، ص240، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12، ص135، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص108 .
- 47- ابن العبري، تاريخ الزمان ، ص119 .
- 48- أنطاكية : بلد عظيم ، لها سور من حجر دوره أثنا عشر ميلاً، داخلها قلعة يمر بظاهرها نهر العاصي، أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت732هـ/1332م) تقويم البلدان، اعتني به، دينودو البارون، دار الطباعة السلطانية، 1840م، ص257، ابن حوقل، محمد بن علي (ت367هـ/1977م) ، صورة الأرض، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ص165، وتبعد عن شاطئ البحر المتوسط 30 كيلاً ، ولها ضياع وقرى ونواح خصبة جداً، عطية، حسين محمد، إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ، ط1 ، الإسكندرية ، دارالمعرفة الجامعية ، 1989م ، ص106-107 .
- 49- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : سهيل زكار ، ط1 ، دمشق، دار الفكر ، 1410هـ/1990م ج1، ص288، مؤلف مجهول، يوميات صاحب أعمال الفرنجة (منشور في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية) ترجمة : سهيل زكار ، دمشق، دار الفكر 1416هـ/1995م ، ج 6 ، ص110 ، الألوسي، عادل محيي الدين ، حصر انطاكية ، مجلة آداب المستنصرية ، بغداد ، العدد الثالث عشر ، 1406هـ/1986م ، ص425 .
- William of tyre : A History of Deeds Done Beyond the Sea , 2 vols, Trans. By Emily Bobcook and A.C. Krey , New York , 1943, vol .I.P.p.284.
- 50- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1، ص368-369 ، ميخائيل زابروف ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : إلياس ساهين ، موسكو ، دار التقدم ، 1986م ، ص107-108 .
- 51- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1 ، ص268-269 ، ميخائيل زابروف ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : إلياس شاهين ، موسكو ، دار التقدم 1986م ، 1986م ، ص107-108 .
- 52- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1، ص269 .
- 53- باركر ، أرسنت ، الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، ط4، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص27 .
- 54- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1، ص279 .
- 55- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 56- معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة ، الحموي ، معجم البلدان ، ج5، ص182 ، وتبعد عن حلب 84 كيلا ، وعن حماة 60 كيلا ، موسوعة ويكيبيديا ، <http://ar.wikipedia.org>
- 57- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج1، ص383 .
- 58- ابن العديم ، زبدة الحلب ، ص245 ، محمد سليم الجندي ، تاريخ معرة النعمان ، تحقيق : كحالة، عمر رضا ، دمشق ، مطبعة الترقى ، 1383/1963م ، ج1، ص157 ، ابن الطباخ ، محمد راغب ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ط2 ، حلب ، دار القلم العربي ، ج1، ص346 .

- 59- انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ص76 وما بعدها ، عبد المولى ، محمد أحمد ، بنومرداس الكلابيون في شمال الشام وسياساتهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1985م .
- 60- الأضطخري ، المسالك والممالك ، ص46 .
- 61- ضامن ، محمد ، إمارة حلب في عهد السلاجقة ، ط1 ، دار أسامة ، 1410هـ/1990م ، ص319 .
- 62- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص453 .
- 63- العظيبي ، تاريخ حلب ، ص366 .
- (2) Fulcher of Chartres A History of the expedition of Jerusalem (1095-1127) Tennessee, U.S.A , 1969.pp.17-19-302-303
- 64- البار ، محمد علي ، العدو بين الطب وحديث المصطفى p ، ص77 .
- 65- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص519 .
- 66- ميخائيل السوري ، التاريخ الكبير (منشور في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية) ترجمة : سهيل زكار ، دمشق ، دار الفكر ، 1416هـ/1995م ، ج5 ، ص129 .
- 67- بارين: بلدة صغيرة اندثرت لها أعين وبساتين وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة وبها آثار عمارة قديمة ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص359 .
- 68- وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص690 .
- 69- ميخائيل السوري ، التاريخ الكبير ، ص163 .
- 69- ابن قاضي شهبة : بدر الدين محمد بن أبي بكر (ت1470/874م) الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق : محمود أبوزي ، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، 1971م ، ص124 .
- 70- ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص124 .
- 71- والحي: حرارة غربية تشتغل في القلب وتثبت منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن فتشتغل فيه اشتغالا يضر بالأفعال الطبيعية ووصفت الحمى بأنواع مختلفة كالحى المطبقة ، والمحرقه ، والناقض الرازي ، كتاب الحاوي ، ج14 ، ص7 ، السامرائي ، كمال ، تاريخ الطب العربي ، ج2 ، ص274 .
- 72- السعال : انقباض مفاجئ في عضلات القفص الصدري يقوم به الجسم للتخلص من المواد التي تهيج الممرات الهوائية غالباً ما يكون متكرراً ويسبب طرداً للهواء بشدة خارج الرئة ، القمري ، التنوير في الاصطلاحات الطبية ، ص57 ، مصطفى الديواني ، حديث في الطب ، مصر ، دار الكتاب العربي ، 1969م ، ص218 .
- 73- ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة (ت555هـ/1160م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : سهيل زكار ، دمشق ، التكوين ، 2007م ، ج1 ، ص494 .
- 74- صلاح ، حمد حمزة ، الكوارث الطبيعية ، ص109 .
- 75- ابن العديم ، بغية الطلب ، ج10 ، ص4418 .
- 76- عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص137 ، وتبعد عن غزة حوالي 19 كيلا ، صايغ ، أنيس ، بلدانية فلسطين المحتلة ، بيروت ، مركز الأبحاث 1968م ، ص26 .
- 77- الجدير بذكر أن عسقلان سقطت بيد الصليبيين سنة 548هـ/1153م ، انظر إلى ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ، ص494 ، الأصفهاني ، البستان الجامع ، ص270 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص104 ، عبد الهادي ، عادل بن محمد ، عسقلان منذ منتصف القرن الرابع حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري

- دراسة تاريخية وحضارية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ، 1420هـ/2000م ، ص215 وما بعدها .
- 78- ابن القلانسي : ذيل التاريخ دمشق ، ص.508
- 79- بانياس : مرفأ ومدينة تقع على ساحل البحر المتوسط في سوريا على مسافة 38 كيلاً إلى الشمال الشرقي من مدينة طرطوس ، أكرم الساطع ، الدليل الأخضر ، ص103 .
- 80- ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص178 .
- 81- السرسام : ورم حاد في الدماغ ، أو في الأغشية المحيط به ، وعلامته حى قوية ، وهذيان ، واحمرار العين ويعرف اليوم بالتهاب السحايا ، الخوارزمي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت387هـ/997م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط1 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1404هـ/1984م ، أشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، دمشق ، دار قتيبة 1985م ، ص283 .
- 82- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج7، ص274، أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل (ت665هـ/1267م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : إبراهيم الزبيق ، ط1 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1418هـ/1997م ، ج3، ص18، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص220 ، المقريزي، أحمد بن علي : (ت845هـ/1441م) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1418هـ/1997م ، ج1 ، ص217 .
- 83- ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، 1382م/1963م ، ص178-179 .
- 84- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12، ص220 .
- 85- حصن الأحزان: بلد بين دمشق وحلب والساحل زعم أنه كان مسكن النبي يعقوب عليه السلام أيام حزنه على يوسف ، ويرى ابن كثير بأن الذي بنى هذا الحصن هم جماعة فرسان الداوية لاستخدامه كمرصد لحرب المسلمين ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص221 ، الحيارى ، مصطفى ، حصن الأحزان ، مجلة الدراسات الجامعية الأردنية ، مجلد 13 ، عدد4 ، عمان ، 1986م .86- أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج3 ، ص26، ابن كثير ، البداية والنهاية ج12، ص224 .
- 87- الجذام: هو مرض ينتشر في البدن كله ، ويحدث أوراما وعقداً في الوجه خاصة ويؤدي إلى سقوط شهر الأهداب والحاجبين وتآكل الأغشية المخاطية في العينين والفم والأنف وسقوط الأصابع وحدوث تشوهات في الأطراف ويعرف بداء الأسود لأنه يحول وجه المريض بما يجعله يشبه الأسد . الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص184 .
- 88- خميس، إبراهيم، الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى الإسلامي وأثرها، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 22 ، 1993م ، ص370 .
- 89- بلدوين الرابع ، ولد سنة 557هـ/1161م واعتلى عرش مملكة بيت المقدس سنة 570هـ/1174م رغم صغر سنة، وكانت بداية عهده تدخل النساء في إدارة شؤون المملكة توفي وهو في الرابعة والعشرين سنة 581هـ/1185م وليم الصوري
- 89- ابن واصل ، محمد بن سالم (ت697هـ/1297م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، دار القلم ، 1960م ، ج2، ص293 .

- 90- عكا: مدينة تقع على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط على بعد 173 كيلاً تقريباً شمالي غربي القدس ، الفاروقي ، حمزة عمر ، جغرافية فلسطين ، ط1 ، الأردن ، مركز الزيتونة . 1429هـ/2008م ، ص488
- 91- ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحمن (ت807هـ/1405م) ، تاريخ ابن الفرات ، عني بتحرير نصه ونشره : حسن محمد الشماع ، العراق ، مطبعة حداد ، 1386هـ/1967م ، ج1، ص222
- 92- مؤلف مجهول، الحروب الصليبية، ترجمة ، حسن حبشي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000م ، ج2 ، ص14 .
- 93- ستيغرنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية : السيد الباز العريبي ، بيروت ، دار الثقافة ، 1417هـ/1997م ، ج2، ص20
- 94- القزويني، أثار البلاد ، ص224
- 95- ابن جبير ، محمد بن أحمد (ت 614هـ/1217م) رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر ، 1384هـ/1964م ، ص276
- 96- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج7، ص371 ، ابن شداد ، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت632هـ/1238م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال ، ط1، مصر ، الدار المصرية ، 1964م ، ص147 ، القزويني ، أثار البلاد ، ص224
- 97- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2، ص347
- 98- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج7، ص374
- 99- طرابلس : مدينة محاطة بسور صخري جليل البنين ، وهي على شاطئ البحر المتوسط تبعد عن بيروت حوالي 58 كيلاً إلى الشمال وبها أسواق حافلة جامعة كثيرة الثمار ولها بساتين جليّة في شرقها ، الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص28 ، عبد العزيز ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية ، دار المعارف ، 1967م ، ص13 .
- 100- ابن العديم ، زبدة الحلب ، ص422
- 101- ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج1، ص219
- 102- الاستسقاء : ماء أصفر يقع في أجواف الجسم أو بين أنسجته ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ص123 ، السامرائي، كمال ، تاريخ الطب العربي ، ج2، ص276
- 103- مؤلف مجهول ، الحرب الصليبية الثالثة ، ج1، ص167-168
- 104- حيفا: مدينة ساحلية في الطرف الشمالي للساحل الفلسطيني ، وميناء على البحر المتوسط ، الحموي ، معجم البلدان ، ج2، ص381، محمد محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ط2، عمان، الأهلية للنشر ، 141هـ/1996م، ص44
- 105- الترياق : دواء نافع من لدغ الهوام والسموم ، خياط ، يوسف ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ، بيروت ، داراللسان العربي ، ص96
- 106- مؤلف مجهول، الحرب الصليبية الثالثة ، ج2، ص66 .
- 107- المصدر نفسه ، ج2، ص123 .
- 108- بيت جبرين: بليد بين بين المقدس وغزة ، وبينه وبين القدس مرحلتان ، وبينه وبين غزة أقل من ذلك ، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين الأيوبي، لما استنفذ بيت المقدس من أيدي الفرنج. شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، ص181

- 109- مؤلف مجهول ، الحرب الصليبية الثالثة ، ج2، ص.188
- 110- حمص: بلد مشهور قديم، مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال وأرضها خصبة جداً، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص347، وتبعد عن مدينة دمشق 162 كيلاً شمالاً ، أكرم الساطع، الدليل الأخضر، ص102
- 111- وخم : أي وبئ وبلدة وخمة وخيمة إذا لم يوافق سكنها . ابن منظور ، لسان العرب ، ج15، ص175 .
- 112- الأصفهاني، البستان الجامع ، ص446، ابن أبيك الدواداري، الدر المطلب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، 1391هـ/1972م ، ج7، ص121
- 113- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص102 .